Journal Of the Iraqia University (74-9) January (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

أثر المحددات الثقافية في تفسير القرآن الكريم (تفسير المراغي أنموذجاً)

د. خولة الملّا-جامعة القصيم- المملكة العربية السعودية

د. رنا محمد صلاح الدين موسى- دكتوراة في الشريعة الإسلامية/ جامعة دمشق

أستاذ مساعد في جامعة باشن الأمريكية وجامعة بلاد الشّام

The Impact of Cultural Determinants on the Interpretation of the Holy Qur'an (Al-Maraghi's Interpretation as a Model)

Rana M.Salah Eddin Mousa
Assistant Professor Bilad Alsham University & Passion International university
rana.moussa99@gmail.com

تعدّ المحدّدات الثّقافية والتي تتمثّل بالبيئة الفكريّة والعلميّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة التي نشأ فيها المفسّر لكتاب الله أحد العوامل التي تؤثّر في تعامله مع النصّ القرآني، وصياغة التّفسير القرآنيّ عبر العصور، مهما بدا المفسّر بعيداً عن المحيط الثّقافيّ الذي نشأ فيه، وتهدف الدّراسة إلى إبراز أثر المحدّدات الثّقافيّة في تفسير القرآن الكريم، بغية إلقاء الضّوء عليها كأحد العوامل المؤثّرة في تحليل النّصوص القرآنيّة، وذلك من خلال أحد مفسّري القرن العشرين وهو أحمد مصطفى المراغي وتفسيره "تفسير المراغي"، الذي يعدّ أحد تفاسير الرأي المشهورة في التّاريخ المعاصر.

الكلمات المفتاحيّة: المحدّدات الثّقافيّة–التّفسير–المفسّر–تفسير المراغيّ–أثر المحدّدات الثّقافية في التفسير.

Cultural determinants, represented by the intellectual, scientific, social, and economic environment in which the interpreter of the Book of God was raised, are one of the factors influencing their interaction with the Qur'anic text and the formulation of Qur'anic interpretation throughout the ages, regardless of how distant the interpreter may appear from the cultural milieu in which they were raised. The study aims to highlight the impact of cultural determinants on the interpretation of the Holy Qur'an, with the aim of shedding light on them as one of the factors influencing the analysis of Qur'anic texts. This is achieved through the work of one of the twentieth-century interpreters, Ahmed Mustafa Al-Maraghi, and his interpretation, "Al-Maraghi's Interpretation," which is considered one of the most famous interpretations of opinion in contemporary history.
Keywords: Cultural determinants - Interpretation - Interpreter –Al-Maraghi's Interpretation- The impact of cultural determinants on interpretation

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصّلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزنا علماً نافعاً يا ربّ العالمين.أما بعد: فقد أرسل الله ﷻ نبيّه محمّدًا ﷺ رحمةً مهداة للعالمين، وأنزل عليه القرآن العظيم معجزةً خالدةً تتحدّى الزّمان، ودستورًا سماويّاً تقوم عليه حياة هذه الأمّة، فلا صلاح لها إلا بالاهتداء بأوامره، والاستنارة بهداياته. ومن هنا انصرف المسلمون إلى كتاب الله تفسيرًا وتدبّرًا، يستنبطون أحكامه، ويستلهمون معانيه، ويغوصون في بحوره لفهم مراد الله فيه. وتنوّعت مناهج المفسّرين في التّعامل مع هذا النّصّ العظيم؛ فمنهم من اقتصر على التّفسير بالمأثور، ومنهم من استعان بعلوم اللّغة العربيّة وآدابها، ومنهم من حمله واقعه التّاريخيّ وسياقه الثقافيّ على قراءةٍ ملهَمة، استمدّت فهمها من معطيات العصر وتطلّعات المجتمع، إذ شكّلت الثقافة – بما تحمله من قيم وعادات ورؤى اجتماعيّة وفكريّة – محدِّدًا بارزًا في تلقّي المفسّر للنّصّ القرآنيّ وفهمه وتأويله. وكان من بين هؤلاء المفسّرين: المراغيّ، الذي تأثّر ببيئته

الثّقافيّة وترك أثر ذلك جليّاً في تفسيره. ومن هنا يأتي هذا البحث ليسلّط الضوء على أثر المحدّدات الثّقافيّة في تفسير القرآن الكريم من خلال تفسير المراغيّ.

مشكلة البحث وأسئلته:

تتجلّى مشكلة هذا البحث في الوقوف على مدى تأثير الثّقافة السّائدة في المجتمع على رؤية المفسّر، والكشف عن أثرها فيما خطّه من معان وتفسيرات، بما يبرز حضور المحدّدات الثّقافيّة المختلفة في تشكيل منهجه وتوجيه قراءته للنّصّ القرآني.

ويحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية: ما مدى تأثير الثّقافة السّائدة في عصر المفسّر في توجيه ما سطّره في تفسيره من معان وآراء؟ وهل استطاع المراغي– كأنموذج عن المفسّر الذي تأثر بالمحدّدات الثقافية في عصره –ربط الواقع الذي عاصره بالنّص القرآني الذي يفسرّه؟

أهداف البحث

: يهدف البحث إلى بيان أثر الثقافة السائدة في بيئة المفسّر على اختياراته التفسيرية، كما يهدف إلى إبراز دور أحد مفسّري القرن العشرين الذين استطاعوا ربط الواقع بالنص القرآني الذي يفسرونه وهو تفسير المراغيّ.

أهمية البحث

: تكمن أهميّة هذا البحث في تسليطه الضوء على علم التّفسير بوصفه علماً حيّاً متفاعلاً مع الواقع، يستجيب لمتغيّراته، ويتأثر بمحدداته الثقافية والاجتماعية، مما يجعله أكثر ارتباطاً بحياة الناس وقضاياهم. كما يُسهم في إبراز التنوع التفسيري بين المفسرين، ويُنبّه إلى ضرورة توجيه التفسير المعاصر نحو مزيد من الوعي بواقع المجتمعات، للوصول إلى تفاسير أقدر على معالجة مشكلاتها، وربط القرآن الكريم بوجدان الأمة وحاجاتها المتجددة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتّقصي لم يتمّ العثور على بحث يبين أثر المحدّدات الثقافية في تفسير القرآن الكريم، لكن من الدراسات القريبة لهذه الدراسة:

–أثر الواقع في تفسير القرآن واتجاهاته، بحث مقدم في قسم الدراسات القرآنية واللغوية لنيل درجة البكالوريوس في الجامعة الإسلامية في الديوانية، كلية العلوم الإسلامية.

–التّفسير وتأثيرات البيئة، بحث منشور للدكتور عماد الهميسيّ. أستاذ علوم القرآن في جامعة الزيتونة، تونس.

منهج الدراسة

: تقوم الدّراسة على المنهجين الاستقرائيّ والتّحليلي، حيث تمّ استقراء المواضع التي ظهر فيها أثر المحددات الثقافية في تفسير المراغي، وتحليلها، وإظهار دورها في اختيار المفسر لمعنى النص القرآني وترجيحاته فيه.

خطة البحث:

وقد أُنجز البحث وفق خطة تضمنت مقدّمة ومبحثين وخاتمة.**المقدمة:** تضمنت مشكلة البحث وأسئلته وأهدافه وأهميته والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة وخطة البحث. **المبحث الأول: التعريف بالمراغي وتفسيره**.المطلب الأول: التعريف بالشيخ أحمد المراغي وعصره.المطلب الثاني: التعريف بتفسير المراغيّ**المبحث الثاني: تعريف المحددات الثقافية وأثرها في تفسير المراغي**.المطلب الأوّل: تعريف المحددات الثّقافية.المطلب الثاني: أثر الثقافة العقلية السائدة في تفسير المراغي.المطلب الثّالث: أثر الثقافة الاجتماعية السائدة في تفسير المراغيّ.المطلب الرابع: أثر الثقافة الاقتصادية في تفسير المراغي.**الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.المبحث الأوّل: التّعريف بالمراغيّ وتفسيره**.المطلب الأول: التّعريف بالشّيخ أحمد المراغيّ وعصره.المطلب الثاني: التعريف بتفسير المراغيّ.

المطلب الأول: التّعريف بالشّيخ أحمد المراغيّ وعصره.

أ.حياة الشيخ أحمد مصطفى المراغي وتعليمه: هو الشيخ أحمد بن مصطفى بن محمد بن عبد المنعم القاضي. ولد ببلدة المراغة من أعمال مديرية جرجا بصعيد مصر سنة ١٣٠٠هـ–١٨٨٣م (شحروري، ١٩٩١، ١)بدأ تعليمه في كتّاب القرية، فحفظ القرآن ثم رحل إلى الأزهر الشريف سنة ١٣١٤هـ_١٨٩٦م، وتلقّى العلم على جلّة من أشياخه، وعندما شارف نهاية الدراسة الأزهرية انتقل إلى كلية دار العلوم وتخرج منها سنة ١٣٢٦هـ_١٩٠٩م (المراغي، ١٩٥٠، ٢١٩) عُيّن بعد تخرجه مدرّساً بالمدارس الأميريّة ثم ناظراً لمدرسة المعلّمين بالفيوم، ثم نُدب إلى السّودان

أستاذاً للشّريعة الإسلاميّة بكلية غوردون، ثم عاد إلى مصر أستاذاً للغة العربيّة والشّريعة الإسلاميّة بكلية دار العلوم، وقد نُدب لتدريس علوم البلاغة في كلية اللّغة العربية (شعبة البلاغة والأدب) بالأزهر الشريف، توفي بالقاهرة (١٣٧١هـ_١٩٥٢م).

ب. مؤلفاته: أهمّ مؤلّفات المراغي هو تفسير المراغي الذي نال شهرة كبيرة (المراغي، ١٩٥٠، ٢١٩؛ الزركلي، ٢٠٠٢، ٢٥٨) ولما كان الشّيخ المراغي من المتمكنين بعلوم اللغة العربية والبلاغة، فقد ألف عدة مؤلفات في علومها منها: تاريخ علوم البلاغة، هداية الطالب، علوم البلاغة، مرشد الطالب، بحوث وآراء: كلها في علوم البلاغة بالإضافة إلى مؤلفات أخرى في الأدب والنحو.

ج. عصر المراغي: شهدت نهايةُ القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وهي الفترة الزّمنية التي عاصرها المراغيّ تغيراتٍ سياسيةً مهمةً ذاتَ أثر خطير على تاريخ مصر، فقد شهدت الحركة العلمية تغيرات وتطورات هامة أيضاً. فعند الحديث عن عصر المراغي لا بدّ من الإشارة إلى الأوضاع السّياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والعلميّة التي كانت سائدة في مصر أواخر القرن التّاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكيف أنّ النّاس في عصر الاستعمار الأوروبيّ انبهروا بالحضارة الغربيّة، وبدأ بعضهم يوهم النّاس أنّ حالة العالم الإسلاميّ تشبه حالة أوربا في العصور الوسطى، ولن ينهض المسلمون إلا بما نهضت به أوروبا من فصل السّلطة الدينية عن السلطة المدنية، ولقد هال الأمر علماء المسلمين، وذهبوا للردّ على تلك الأفكار مذاهب شتى، وحاولت فئة منهم التوفيق بين الدّين والعلم وبينت أنّ الدّين الإسلاميّ الحقّ لا يحارب العلم، ولا ينافي العقل، وأنّه دين العقل والفكر، وكان لهذه المدرسة العقلية رجال كان لهم نشاط واسع في نشر هذه الثّقافة، ومكافحة الاستعمار ومقاومة الهجوم على الدّين وإلقاء التبعة عليه في التّخلف، وربما بالغوا في تحكيم العقل في أمور الدين حتى كان لهم شطحات في التّفسير، وخالفوا رأي السّلف في بعض الأمور، وكلّ ذلك كان بسبب تأثّرهم بالواقع الثّقافيّ، وقد سمّيت هذه المدرسة بالمدرسة العقليّة، كما سمّي اللّون الذي غلب على تفاسيرها رجالات هذه المدرسة باللّون الاجتماعيّ (الرّوميّ، ١٩٨٣، ٧٠) ومن أهم رجالات هذه المدرسة: الإمام محمد عبده وتلاميذه؛ محمد مصطفى المراغي ومحمد رشيد رضا، وأحمد مصطفى المراغي الذي تقوم الدراسة على تفسيره.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير المراغيّ

١. **وصف تفسير المراغي:** إنّ تفسير المراغي هو أهمُّ مؤلّفاتِ الشّيخ أحمد المراغيّ وآخرها وأكثرها شهرة، وقد جعله في ثلاثين جزءاً، ألّفه كما قال بأسلوب سهل، حيث ذكر الشّيخ المراغي في مقدمته أنّه ضربَ صفحاً عن ذكر مصطلحات العلوم من نحو وصرف وبلاغة ممّا أدخله المفسّرون في تفاسيرهم، والتي شكّلت العوائق التي حالت بين جمهرة الناس وقراءة كتب التّفسير القديمة، فقد وجدوا طلّسمات وألغازاً صعب عليهم فهمها (المراغي، ١٩٤٦، ١/ ١٣) فجاء تفسيره (تفسير المراغي) محاكياً لأسلوب عصره الذي يمتاز بميل أهله لسهولة الكلام ليُفهم الغرض المراد منه حين التّخاطب، دون احتياج إلى النّقاش الطّويل وصنوف التّأويل.

٢. **طريقةُ المراغي في التّفسير:** كانَ المراغي يبتعدُ عن العنونة لمصطلحات الفنون: وكان يبدأ تفسيره للمقطع المؤلّف من عدة آيات يربطها موضوع واحد ببيان (معاني المفردات) ثم يبدأ بتناول المقطع تفسيرياً تحت عنوان وضعه، وهو (المعنى الجملي) يبدؤه بمناسبة الآيات لما قبلها، ثمّ يتبعه بأسباب النزول، فإن انتهى وضع عنواناً ثالثاً هو (الإيضاح) يكمل فيه ما بدأه من تفسير، وكان ينهي تفسيره للسّورة بعرض أهم مواضيع السّورة الأساسية.

٣. **منهج المراغي في التّفسير:** وأمّا عن منهج المراغيّ في التّفسير فقد جمع فيه بين التّفسير بالمأثور والتّفسير بالرّأي، وأخذ تفسير القرآن بالقرآن مكاناً واسعاً من تفسيره، بالإضافة إلى تفسير القرآن بالسّنة وبأقوال الصّحابة رضوان الله عليهم والتّابعين من بعدهم، كذلك بدا واضحاً اعتناؤه بمسائل اللّغة والشّعر والأمثال العربية والبلاغة دون وضع عنوان خاص لذلك، وابتعد عن الاهتمام بالقراءات والإعراب إلّا فيما ندر، ومن الصّفحات الأولى في تفسيره صرّح بموقفه من الإسرائيليّات التي تجاهل الكثير منها في بعض الأحيان، ووضّح كونها من الإسرائيليّات عند ذكرها في مواضع أخرى، وقد احتلّت الدّعوة للإصلاح الاجتماعيّ والاقتصاديّ مكاناً مميّزاً في تفسيره، كما تميّز تفسيره بالاهتمام بالإشارات العلميّة الواردة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: تعريف المحددات الثقافية وأثرها في تفسير المراغي.

المطلب الأوّل: تعريف المحدّدات الثّقافية

أولاً. التعريف اللّغوي:

إنّ مصطلح المحدّدات الثقافية هو مركّب وصفيّ، مؤلّف من جزئين:الْمُحدِّدات لغة: جمع مُحدِّد: وهو اسم فاعل من الفعل: حدَّدَ يحدِّد، تَحْديدًا، فهو محدِّد، والمفعول محدَّد. حدَّد الشَّيءَ: حدَّه، عرَّفه وأقام له حدودًا (عمر، وآخرون، ٢٠٠٨، ١/ ٤٥٦) والثّقافيّة: المؤنّث من كلمة (الثّقافيّ)

اسم منسوب إلى (ثقافة) وهي في اللّغة: اسم جمعه: ثقافات، ومصدر من الفعل: ثُقُفَ يَثقُف، ثَقافةً، فهو ثَقِف، ثُقُف الشَّخصُ: صار حاذقًا فطنًا، انكبَّ على المطالعة حتى ثقُف. وثقافة: كلمة تُطلق على مجموعة من العلوم والمعارف والفنون، كما تطلق على مجموع ما توصَّلت إليه أمَّة أو بلد في الحقول المختلفة من أدب وفكر وصناعة وعلم وفن (عمر، وآخرون، ٢٠٠٨، ١/ ٣١٨).

ثانياً. التّعريف الاصطلاحيّ.إنّ مصطلح الْمُحدّدات الثّقافية غير مدوّن أو متداول بين أهل العلم، لكنّها في الحقيقة تعبّر عن: العوامل التي تشكّل وتؤثّر في الثّقافة العامّة لمجتمع معين (حمداوي، ٢٠١٦، ٤٧). وتشمل القيم والمعتقدات والتّقاليد واللّغة والدّين والنّظام الاجتماعيّ والاقتصاديّ والسياسيّ والتّعليم وغيرها من العناصر التي تحدّد سلوك الأفراد داخل المجتمع وتوجه تفاعلهم.لذلك يمكن تعريف الْمُحدّدات الثّقافيّة بأنها: هي العوامل الاجتماعيّة والعلميّة والاقتصاديّة التي تشكّل وعي الأفراد وتوجّه سلوكهم، وتسهم في بناء القيم والتّصوّرات داخل المجتمع.

المطلب الثّاني: أثر الثّقافة العلميّة والعقليّة السّائدة في تفسير المراغي

اعتنى الإسلام بالعلم عنايةً بالغة، ورفع من شأن العقل، فأعلى منزلته وجعل له مكانةً لا يوازيها ما ورد في سائر الأديان، إذ كان العقل في الإسلام أداة للفهم، ووسيلة للهداية، وركيزةً للتكليف والتشريع. لكنَّ المبالغة في تحكيم العقل للأخبار الواردة من عهد النبيّ صلى الله عليه وسلّم تأثّراً بالثورة العلميّة التي ظهرت في أوروبا والعالم في عصر المراغيّ يعدّ غمطاً لحقوق العقل وتكليفاً له بما لا يستطيع، فالمبالِغُ في مدحه سلَبَه ذلك النّور الذي يهتدي به في ظلمات الحياة، والقادحون له أيضاً قصَّروا في حقّه لإنكارهم حقاً من حقوقه، وهو القدرة على الإدراك، وجاء الإسلام منصفاً له فأعطاه ذلك النّور الذي يهتدى به، ألا وهو القرآن والسّنة، فكانا خير مرشد وخير معين، وقد جعل أفراد المدرسة العقلية– والذي يمثّل المراغي أحد أفرادها– العقل مُقدَّماً على ظاهر النّصوص عند التّعارض (الرومي، ١٩٨٣، ٢٨٥) .وربما الذي دفعهم إلى ذلك الثّقافة السّائدة في ذلك العصر، وما أخذوه على عاتقهم من مهمّة التّوفيق بين الدّين والعلم، وبيان أنَّ الدّين الإسلامي الحقّ لا يحارب العلم، ولا ينافي العقل، وأنّه دين العقل والفكر.من هنا جاء تفسيرهم لبعض الآيات مخالفاً لما كان عليه جمهور المفسرين، ومن ذلك في تفسير المراغيّ:

١_ إنكار رفع عيسى عليه السّلام حيّاً وأنه سينزل آخر الزمان:ذهب أكثر علماء المسلمين إلى أن عيسى عليه السّلام لم يمت وأن الله تعالى قد رفعه إليه، وأنه سينزل آخر الزمان يدعو إلى دين محمد ﷺ، واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عِمْرَان: ٥٥]، وبأحاديث منها قوله ﷺ: **((والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد))** (البخاري، ٢٠٠١، رقم: ٢٢٢٢؛ مسلم، ١٩١٦، رقم: ١٥٥).أمّا الشيخ أحمد المراغي فيرى أن التّوفي المذكور في الآية حقيقي وهو الإماتة العادية، وأنّ الحديث في نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان حديث آحاد تعلّق بأمر اعتقادي لأنّه من أمور الغيب، والأمور الاعتقادية لا يؤخذ فيها إلا بالقطعي، لأنّ المطلوب فيها هو اليقين، وليس في الباب حديث متواتر. ويمكن تأويل نزوله وحكمه في الأرض آخر الزّمان بغلبة روحه ونشر رسالته بين الناس، وإيمان متبعيه، وهو ما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم والأخذ بمقاصد الشريعة دون الوقوف عند ظواهرها (المراغي، ١٩٤٦، ١/ ٢٤٦-٢٤٧).

٢_تأويل معراج النبي صلى الله عليه وسلّم بأنه كان بالروح فقط:إنّ حادثة الإسراء والمعراج للنّبي محمد صلى الله عليه وسلم تعدّ إحدى المعجزات التي أيّده الله تعالى بها، وقد جاء ذكر حادثة الإسراء في القرآن الكريم، حيث أسري به صلى الله عليه وسلّم ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السّماء السّابعة، قال تعالى:﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإِسْرَاء: ١]، وقد ورد ذكر حادثة الإسراء في الصحيحين (البخاري، ٢٠٠١، رقم: ٣٤٩؛ مسلم، ١٩١٦، رقم: ١٦٢)وأما في تفسير المراغي فقد تناول الشّيخ أحمد مصطفى المراغي حادثة المعراج بالدّراسة والتّحليل، وذكر أنّ العلماء فيها فريقين؛ فريق يثبتها بالرّوح والجسد مستدلّين بآية الإسراء والتّصريح فيها بقوله: (بعبده) والعبد مجموع الرّوح والجسد، وبالحديث المروي في كتب الصّحاح كالبخاري ومسلم (البخاري، ٢٠٠١، رقم: ٣٤٩؛ مسلم، ١٩١٦، رقم: ١٦٢) وفريق آخر يثبتها بالرّوح فقط، ويستطرد في ذكر الأدلة التي يعبر فيها عن رأيه أيضاً منها:

"١. إن الحركة البالغة في السّرعة إلى هذا الحدّ غير معقولة.

٢. إنّه لو صح ذلك لكان أعظم المعجزات وكان يجب أن يظهر حين اجتماع الناس حتى يستدلّ به على صدقه في ادعاء النبوة، فأمّا أن يحصل ذلك في وقت لا يراه فيه أحد، ولا يشاهده فيه مشاهد، فإن ذلك عبث لا يليق بحكمة الحكيم.

٣. إنّ الصّعود بالجسم إلى العالم العلوي فوق طبقات معينة مستحيل، لأنّ الهواء معدوم، فلا يمكن أن يعيش فيه الجسم الحي أو يتنفس فيه"

(المراغي، ١٩٤٦، ٥/ ١٩٤)كما تابع المراغي بأن حديث المعراج اشتمل على أشياء غاية في البعد، وأمور غريبة لا حاجة إليها في تصديق النبوة: منها شقّ بطنه صلى الله عليه وسلّم، وركوب البراق إذ لا حاجة له بذلك، بالإضافة إلى نقده لرواية فرض خمسين صلاة وتردده صلى الله عليه وسلم بين الله عز وجل وموسى عليه السّلام إلى أن عاد الخمسون إلى خمس صلوات بسبب شفقة موسى عليه السّلام، وأنّ أبا بكر الباقلانيّ أنكر هذه الرواية لأنّها تقتضي نسخ الحكم قبل العمل به وأنّ متن الحديث مضطرب وإن صح باعتبار سنده (المراغي، ١٩٤٦، ٥/ ١٩٤).

وقد وردت أحاديث مرفوعة صحيحة في نفي رؤية النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لربه مثل حديث **((نور أنّى أراه؟))** (مسلم، ١٩١٦، رقم: ١٧٨) وكحديث **((تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عز وجل حَتَّى يَمُوتَ))** (مسلم، ١٩١٦، رقم: ١٦٩).

٣_ المسخ في الأمم السابقة لم يكن حقيقياً:ذهب المفسرون مذهبين في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِئِينَ ﴾ [البَقَرَةِ : ٦٥]؛ الأول–وهم جمهور المفسرين–إن عصاة بني إسرائيل مُسخت صورهم فصارت صور القردة، والثاني أنهم ما مسخت صورهم ولكن مسخت قلوبهم فلا تقبل وعظاً ولا تعي زجراً، وقد روى ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره (جامع البيان) (الطبري، ٢٠٠٠، ٢/ ١٧٣) وهذا ما رجّحه الشيخ المراغي وبأن الآية ليست نصاً في رأي الجمهور ولم يبق إلا النقل، ولو صحّ ما كان في الآية عبرة ولا موعظة للعصاة، لأنهم يعلمون بالمشاهدة أن الله لا يمسخ كلّ عاص فيخرجه عن نوع الإنسان، إذ ليس ذلك من سنته في خلقه، وإنما العبرة الكبرى في العلم بأن من سنن الله في الذين خلوا من قبل أن من يفسق عن أمره ويتنكّب الصراط الذي شرعه له ينزله عن مرتبة الإنسان ويلحقه بعجماوات الحيوان، وسنة الله واحدة، فهو يعامل القرون الحاضرة بمثل ما عامل به القرون الخالية " (المراغي، ١٩٤٦، ١/ ٨٠).

٤_إنكار حادثة شق القمر:إنّ حادثة شقّ القمر التي دلّ عليها قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القَمَر: ١]، والتي وردت في الصّحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه: «انشقّ القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلّم فرقتين فرقة على الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **((اشهدوا))** (البخاري، ٢٠٠١، رقم: ٣٨٦٩؛ مسلم، ١٩١٦، رقم: ٢٨٠٠) هي إحدى معجزات النبي صلى الله عليه وسلّم، وقد استدلّ الشّيخ المراغي على أن ما ورد في الآية إنما هو إخبار عن المستقبل بأمور منها: "(١) إن الإخبار بالانشقاق أتى إثر الكلام على قرب مجيء الساعة، والظاهر تجانس الخبرين وأنهما خبران عن مستقبل لا عن ماض. (٢) إنّ انشقاق القمر من الأحداث الكونية الهامّة التي لو حصلت لرآها من الناس من لا يحصى كثرة من العرب وغيرهم، ولبلغ حداً لا يمكن أحداً أن ينكره، وصار من المحسوسات التي لا تدفع، ولصار من المعجزات التي لا يسع مسلماً ولا غيره إنكارها. (٣) ما ادّعى أحد من المسلمين إلا من شذّ أن هذه معجزة بلغت حد التّواتر، ولو كان قد حصل ذلك ما كان رواته آحاداً، بل كانوا لا يعدّون كثرة" (المراغي، ١٩٤٦، ٩/ ٢٧٠). وقد قال عند الحديث عن منهجه في التفسير في مقدمة تفسيره: "وقد وجدنا أنّ ذلك أسلم لصادق المعرفة، وأشرف لتفسير كتاب الله وأجذب لقلوب المثقّفين ثقافة علميّة، لا يقنعها إلا الدّليل والبرهان ونور المعرفة الصّادقة" (المراغي، ١٩٤٦، ١/ ١٤).هذه بعض المواضع التي تأثر فيها المراغيّ بالثقافة العلميّة والعقليّة التي كانت سائدة في عصره، وما فيها من سيطرة كلمة العلم في أوساط النّاس المثقفين، بعد انبهارهم بالحضارة الغربية، فبدأ الحديث يطول بعض القصص غير المعقولة في القرآن، وهذا ما جعل المراغيّ يحاول الدّفاع عن القرآن الكريم وما ورد فيه من قصص، فسبقت قدمه نحو هاوية إنكار بعض القصص، ومخالفة تفسير من قبله من المفسّرين.

المطلب الثّالث: أثر الثقافة الاجتماعية السائدة في تفسير المراغيّ.

تعدّ الثقافة الاجتماعيّة إحدى المحدّدات التي قد تؤثّر في تفسير المفسّر، ولقد انتشرت في عصر المراغي الكثير من المظاهر الاجتماعية الجديدة، فانتشار الفقر والجهل جعل بعض النّاس يتطلّع إلى حلّ مشاكله عن طريق اللجوء إلى البدع، كما بدأ انبهار النّاس بالنّهضة العلمية الأوربية يزداد يوماً بعد يوم، وهذا ما جعل بعض الشّباب يحاول تقليد ثقافة الغرب بكلّ صغيرة وكبيرة، ممّا دفع المراغيّ إلى ذكر الكثير من الظّواهر الاجتماعية التي طغت في عصره في أثناء تفسيره للآيات، حيث كان يرى في القرآن مصدراً لإصلاح المجتمعات، وليس مجرّد نصّ دينيّ تعبّدي فقط، ومن ذلك:

١.**نقد العادات الاجتماعية المخالفة للدّين:** ومن هذه العادات التي كانت قد بدأت بالانتشار في عصر المراغيّ:

– **اللّجوء إلى المقامات والأضرحة:**انتشر في عصر المراغي الكثير من البدع، ومنها اللّجوء إلى المقامات والتّوسل بالقبور، وقد جعل ذلك المراغي يذكر تحريم البدع عند تفسير كلّ آية قد يرتبط بعض معانيها بتحريم البدع، من ذلك:في قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨] وبعد أن فسّر المراغيّ الآيات وبيّن معانيها بأنّ الله عزّ وجلّ هو الوحيد العالم بالغيب توّجه نحو المصدّقين بكرامات أصحاب القبور والأضرحة فقال: "وفي

هذا حجّة أيّما حجة على زوّار الأضرحة والقبور الذين يقولون: إنّ هؤلاء الأولياء أحياء عند ربهم كالشّهداء، فهم يضرون وينفعون لا كالأصنام، وقد جهلوا أنّ الله يقول للنّصارى إنّ المسيح لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً بعبادتهم له مع ما آتاه من المعجزات، وأظنّ أنّ الأمر لا يبلغ بهم أن يجعلوا السيّد البدوي وسيدنا الحسين والسيدة زينب أفضل عند الله ولا أقرب منه" (المراغي، ١٩٤٦، ١١/ ٨٣). وليس هذا هو الموضع الوحيد الذي عاب فيه المراغيّ على قاصدي القبور للتّبرك والتّوسل.-**انتشار الخمر وغيره مما يذهب العقل:**تحدّث المراغيّ في تفسيره عن الموبقات التي انتشرت في عصره فبدأ بذكر الخمور وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]: حيث ذكر المراغيّ عند تفسير الآية أنواعاً من الخمر ومذهبات العقل التي انتشرت في عصره، فقال: "وإذا استمر انتشار الخمر والزّنا في هذه البلاد ولا سيما الخمور التي تباع للفقراء؛ فهي موادّ سامة محرقة (سبيرتو) يضاف إليها قليل من الماء والسكر، فليس بالبعيد أن تنقرض الأمة بعد جيلين أو أكثر كما انقرض هنود أمريكا، ولا يبقى منهم إلا بعض الأجراء والخدم، فالسكر والزنا مقراضان يقرضان الأمم قرضاً" (المراغي، ١٩٤٦، ٢/ ١٤٤). ثم انتقل بعد ذلك إلى الحديث عن المواد التي تشبه الخمور في الفتك بعقل الإنسان، فقال: "وقد شاع حديثاً في مصر ما هو أفتك بالأمّة من الخمور وأقتل لها، وهو بعض السّموم التي تستعمل حقناً تحت الجلد أو شمّاً بالأنف كالمورفين والكوكايين والهروبين" (المراغي، ١٩٤٦، ٢/ ١٤٤).- **تقليد الغرب بعد الانبهار بحضارتهم:**تحدث الشيخ أحمد المراغي بإسهاب عن ظاهرة تقليد المسلمين للغرب، مستعرضاً أسباب هذا الانبهار بالثقافة الغربية وتأثيره على الهوية الثقافية والحضارية للمجتمعات الإسلامية. فمثلاً في تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]تحدّث المراغي عن هذه الظاهرة فقال: "ولا شكّ أن كثيراً من المسلمين الذين تعلّموا التّعاليم الغربيّة؛ ورأوا زخرف المدنية الأوربية؛ وغرّهم بهرجُها وخلبَتْهم زينتُها تنطبق عليهم هذه الصفات، فهم يحتقرون هداية الدّين الروحية وأوامره ونواهيه وسائر تعاليمه، وما له من تأثير عظيم في النّفوس، وتوجيه لها إلى الخير، وصدٍّ لها عن الشر، والبعد عن الفواحش والمنكرات" (المراغي، ١٩٤٦، ٣/٢٧٤) ثمّ ذكر الأسباب التي جعلت المسلمين يتبعون الغرب، فقال:"ذاك أنّهم رأوا أنفسهم بعيدين عن الفنون والصّناعات وزخرف الحياة الذي وصل فيه الغربيون إلى الغاية القصوى وهم عبيد شهواتهم منصرفون عن هداية الأديان إلى أبعد غاية فحدّثتهم أنفسهم أن ينهجوا نهجهم ويسيروا على سنتهم، علّهم يصلون في ذلك إلى بعض ما وصلوا إليه" (المراغي، ١٩٤٦، ٣/٢٧٤).كما قال المراغي في موضع آخر: "وقد فعلت الأمم السّالفة مثل هذا فاستثقلت التّكاليف، وفسقت عن أمر ربّها واتّبعت هواها؛ وجعلت حظّها من الدّين مجموع حركات لسانيّة وبدنيّة لا تهذب خلقاً ولا تصلح عملاً ولا تمنع النّفس من التّمتع بشهواتها، وقد اتّبع كثير من المسلمين سنن من قبلهم وحذوا حذوهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع" (المراغي، ١٩٤٦، ٤/٢٠٩).

٢. **الاهتمام بالأسرة والروابط الزّوجيّة:**لاحظ المفسّرون في عصر الشيخ المراغيّ بعمق أثر الحضارة المدنية الحديثة على بنية الأسرة المسلمة، حيث بدأ الطلاق يزداد انتشاراً، مما دفعهم إلى الاهتمام بإصلاح الأسرة والحفاظ على الروابط الزوجية، مع التأكيد على أهمية حماية الأسرة من التأثيرات الخارجية التي قد تهدد كيانها، فهي النواة الأساس التي تُبنى عليها أواصر المجتمع واستقراره، فمثلاً عند تفسير قوله تعالى:﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]: يقول الشيخ أحمد المراغي منبّهاً إلى أهميّة الحفاظ على الأسرة: "والحكمة في إثبات حقّ الرّجعة أنّ الإنسان لا يحسّ بخطر النّعمة وجليل قدرها إلا إذا فقدها، وربما ظهرت المحبّة للمرأة بعد فراقها، أو استبانت له الحاجة إليها وعظمت المشقّة عليه في تركها والبعد عنها، ويندم على ما فرط منه في شأنها، وقد تكون المرأة سادرة في كبريائها وخيلائها، ولا تؤدي ما ينبغي للرجل من الحقوق والواجبات، فإذا هي طلقت تذكرت مضارّ خطئها، وأحسّت بما كان فيها من عيوب في المعاملات الزّوجيّة والشّؤون المنزليّة، وتمنّت أن لو كانت لها عودة تمكّنها من إصلاح ما سلف منها" (المراغي، ١٩٤٦، ٢/ ١٧١) ثم يتابع مبيناً ما يترتّب على صلاح الأسرة المسلمة من منافع لأفرادها: "تلك الشّؤون الاجتماعيّة التي يترتب عليها صلاح الأسرة وحسن تهذيب الأولاد، وتثقيف عقولهم والحدب عليهم بإشراك الوالدين في تقويم المعوجّ وتعهدهما لهم بالرّعاية الأبوية التي لن تكون كاملة إلا إذا قام كلّ من الوالدين بقسط منها" (المراغي، ١٩٤٦، ١/ ٢٢٢).

٣. **الاهتمام بالتّعليم:**اعتنى المراغيّ بذكر أهمّيّة التّعليم في أثناء تفسيره للآيات، يقول المراغيّ: "إنّ الفوز والفلاح في الدّين والدّنيا لا يتمّ إلا بالعلم الصّحيح والعزيمة الحافزة إلى العمل بالعلم، فمن خسر إحدى الفضيلتين فقد خسر نفسه، فرداً كان أو أمّة، فما بال من خسرهما معاً" (المراغي، ١٩٤٦، ٧/ ٨٧).وممّا قاله في تعليم القرآن للرسول الكريم ﷺ: "إنّ الله أطلع رسوله على ما في هذا الكون أرضيّه وسماويّه من العظمة والجلال،

ليكون ذلك درساً عملياً لتعليم رسوله بالمشاهدة والنّظر، فإنّ التّعليم بالمشاهدة أجدى أنواع التّعليم، فهو وإن لم يذهب إلى مدرسة، أو يجلس إلى معلم، أو يسح في أرجاء المعمورة، أو يصعد بالآلات العلميّة إلى السّماء– فقد كفل له ربّه ذلك بما أراه من آياته الكبرى، وما أطلعه عليه من مشاهدة تلك العوالم التي لا تصل أذهاننا إلى إدراك كنهها إلا بضرب من التّخيّل والتّوهم، فأنّى لنا أن نصل إلى ذلك وقد حبس عنّا الكثير من العلم ولم نؤت إلا قليله ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلا ﴾ [الإسراء: ٨٥]" (المراغي، ١٩٤٦، ١/ ٢٢٢).كما تحدّث عن الثّورة العلمية في عصره، حيث قال: "إن ما يجدّ كل يوم من ضروب المخترعات، والتّوسل بها إلى طي المسافات، بوسائل الطيارات، وقطع المحيطات في قليل الساعات، من قارة إلى قارة، ومن قطر إلى قطر، ليجعلنا نعتقد أن ما جاء في وصف هاتين الرحلتين من الأمور الميسورة التي ليست بالعزيزة الحصول أو الأمور المستحيلة" (المراغي، ١٩٤٦، ١/ ٢٢٢).

٤. **التّحدث عن سنن الله في الكون والتّاريخ في سبيل النّهوض بالمجتمع:** تجلى في تفسير المراغي فهم عميق لسنن الله في الكون والتاريخ، حيث يرى أن هذه السنن ليست مجرد قوانين ثابتة تسير عليها الحياة، بل هي موجهات إلهية تهدف إلى تحقيق التوازن والنهوض بالمجتمعات. ومن خلال تأمل هذه السنن والتفاعل معها بوعي، يمكن للمجتمع أن يستفيد من حكمتها لتطوير نفسه، وتصحيح مساراته، وبناء مستقبل أفضل. فالمراغي يبرز كيف أن الفهم الصحيح لهذه السنن يدفع بالأمة نحو التقدم والازدهار، معتمدًا على أن النهوض الحقيقي يبدأ بالاستقامة على منهج الله في كل جانب من جوانب الحياة. ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣] يقول الشيخ أحمد المراغي: "والإشارة إلى أنّ وجود القليل من الصالحين في الأمة لا يمنع عنها العقاب إذا فشا فيها الفساد وعمّ البلاء، وقد جرت سنة الله بأن بقاء الأمة عزيزة مرهوبة الجانب ذات سطوة وبأس، إنما يكون بمحافظة السّواد الأعظم فيها على الأخلاق الفاضلة، والدأب على العمل الذي به تستحق العزّ والشرف. بعد هذا لا عجب فيما ترى من حلول الكرب والبلاء بالمسلمين الذين فتنوا في دينهم ودنياهم وهم غافلون لا هون، لا يعتبرون ولا يذّكرون" (المراغي، ١٩٤٦، ١/ ٩١). فقد تحدّث عن بعض أسباب رفع البلاء عن المسلمين، وهو المحافظة على الأخلاق الفاضلة، ومواصلة العمل الذي به تستحقّ الأمم العز والشّرف.

المطلب الرابع: أثر الثقافة الاقتصادية في تفسير المراغي:

لقد كان للثّقافة الاقتصادية أثر في تفسير المراغي، خاصّة وأنّ العصر الذي عاش فيه كان مليئاً بالأزمات الاقتصادية، من انتشار الجوع والفقر وغيرها، وهذا ما جعل اهتمامه ينصب على إصلاح النّظام الاقتصاديّ للمجتمع الإسلاميّ، حيث شكّلت القضايا الاقتصادية المعاصرة هاجساً مهمّاً للمراغيّ يذكره في أثناء تفسيره لآيات، ومن أهمّ تلك القضايا

١. **تحريم ما يؤدي إلى الانهيار الاقتصادي:**وذلك من خلال تسليط الضوء على المحرمات المذكورة في القرآن والتي تؤدي إلى انهيار اقتصاد المجتمع، ومن أمثلة ذلك:

أ. **تحريم الميسر والقمار:**تحدّث المراغيّ عن تحريم القمار والميسر كسبب مباشر في دمار الأمة اقتصادياً، إذ رأى أن الميسر يهدد أموال الناس ويزرع الفساد في المجتمع، مما يعوق التقدم ويزيد من معاناة الفقراء ويزيد من عدم الاستقرار المالي والاجتماعي. ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡم كَبِير وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]:يقول المراغيّ مبيناً بعض أسباب تحريم القمار والميسر: "وأما كون إثم الميسر أكثر من نفعه فواضح مما تقدم، ولا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه أنواع القمار وعمّ ضررها، وقد تنبهت لذلك حكومات كثيرة فمنعت أكثر أنواعه وشددت في العقوبة عليه" (المراغي، ١٩٤٦، ١٥/ ١٠).

ب. **تحريم الربا:**تحدث المراغي في تفسيره عن تحريم الربا لحماية الاقتصاد الوطني من الانهيار المالي، حيث يهدف التحريم إلى حفظ أموال الناس من الاستغلال والظلم، ويمنع تراكم الثروة بيد فئة قليلة على حساب الفقراء، مما يعزز العدالة الاقتصادية ويُسهم في استقرار المجتمع وتنميته، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَة مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]: يقول المراغيّ عند الحديث عن تحريم الرّبا: "زعم كثير من المسلمين الذين ذهبوا إلى بلاد الغرب، بلاد المدنيّة والحضارة، ونهلوا من مناهل العلم هناك، أنّ تحريم الربا في الإسلام هو العقبة الكؤود في مجاراة الأمم الإسلاميّة للبلاد الغربيّة في الثّروة التي هي مناط العزّة والقوّة في العصر الحديث، ويحتجّون بأنّ المسلمين ما منوا بالفقر وذهبت أموالهم إلى أيدي الأجانب إلا بتحريم الرّبا، فإنّهم لاحتياجهم إلى الأموال يأخذونها من

الأجانب بالرّبا الفاحش، ومن كان منهم غنيّاً لا يعطى ماله بالربا، فمال الفقير يذهب، ومال الغني لا ينمو" (المراغي، ١٩٤٦، ٣/ ٥٦). ثم يردّ المراغيّ على هذا الكلام منبّهاً إلى خطأ مقولتهم بأن تحريم الرّبا هو سبب ما مُنيت به البلاد العربيّة من فقر، بل السّبب هو عدم امتثال الشّرع في دفع الزّكاة والتّكافل وغيرها ممّا ورد في التّشريع الإسلاميّ التّكافليّ، يقول المراغيّ: "وهذه حجّة أوهى من بيت العنكبوت، وأوهام يزيّنها لهم الشّيطان لم يمحصّوها حقّ التّمحيص، فإنّ المسلمين في هذا العصر لا يحكّمون الدّين في شيء من أعمالهم ومكاسبهم، إذ لو حكّموه لما استعانوا بالرّبا، ولما جعلوا أموالهم غنائم لغيرهم" (المراغي، ١٩٤٦، ٣/ ٥٦).

ج. تحريم الإسراف والتبذير:تحدّث المراغي عن تحريم التبذير والإسراف ضمن آيات القرآن الكريم، مؤكداً أنهما من العوامل التي تهدد الاستقرار الاقتصادي للأمة، لما يسببه هدر المال والموارد من ضعف في القدرة المالية وانتشار الفقر، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [النساء: ٦] يقول المراغيّ منبّهاً إلى عدم جواز الإسراف والتّبذير وإنفاق المال في غير الوجوه المشروعة والنّافعة للبلاد: "وإنّ من أشدّ العجب أن يكون حال المسلمين اليوم ما نرى من الإسراف والتّبذير، وكتابهم يهديهم إلى ما للاقتصاد من فوائد، وما للتبذير من مضارّ، إلى ما للمال في هذا الزمن من المنزلة التي لا يقدر قدرها حتى صارت جميع المرافق موقوفة على المال، وأصبحت الأمم الجاهلة بطرق الاقتصاد وليس في أيديها المال مستذلّة مستعبدة للأمم الغنية ذات البراعة في الكسب والإحسان في الاقتصاد وجمع المال. ولا سبب لهذا إلا أنّا نبذنا هدي القرآن وراء ظهورنا، وأخذنا بآراء الجاهلين الذين لبسوا على الناس ونفثوا سمومهم، وبالغوا في التّزهيد والحثّ على إنفاق ما تصل إليه الأيدي، مع أنّ السّلف الصّالح كانوا من أشدّ الناس محافظة على ما في أيديهم، وأعرف النّاس بتحصيل المال من وجوه الكسب الحلال" (المراغي، ١٩٤٦، ٢/ ١٠٧).

٢. **الحثّ على الإنفاق لتحقيق العدالة المالية والاجتماعية في المجتمع:**تحدّث المراغي في تفسيره لآيات الإنفاق عن الحثّ القوي على الإنفاق باعتباره وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية، إذ يؤكد أن الإنفاق من أموال الله على الفقراء والمحتاجين يعزز التكافل الاجتماعي ويرسخ مبادئ المساواة، ويعمل على إزالة الفوارق الاقتصادية، مما يساهم في بناء مجتمع متماسك ومتوازن تقوم فيه الرحمة والكرامة للجميع. ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]:حيث يتحدّث المراغيّ عمّا ورد في الآية من حثّ على الإنفاق في سبيل الله، ويربطه مع الواقع الاقتصادي للمجتمع فيقول: "الإنفاق هنا يشمل الإنفاق الواجب بالزكاة، والإنفاق المستحب أيضاً. ذاك أنه إذا اضطرب حبل الأمن في الأمة، أو انتشر المرض في أبنائها، أو كثر الجهل في أفرادها، ولا سبيل لدرء هذا إلا ببذل المال– وجب على الأغنياء أن يبذلوه لدفع هذه المفاسد، وإزالة هذه الطوارئ لحفظ المصالح العامة" (المراغي، ١٩٤٦، ٣/ ٩).ومن ذلك أيضاً ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ – ٣٥]:حيث يقول المراغيّ في سياق الحديث عن تحريم منع الزكاة وعدم الإنفاق في سبيل الله: "وإنّ من أكبر أسباب الضّعف الظّاهر الذي نراه في المسلمين عامّة حتى تمكن أعداؤهم من سلب ملكهم ويحاولون صدّهم عن دينهم بخل أغنيائهم، إذ لو وجّهوا همّهم لإنشاء المدارس والمصانع والمعامل لتعليم النّشء العلوم الدّينيّة والدّنيوية من فنون الحرب وصنع الأسلحة لأمكنهم أن يخرجوا للأمة رجالاً يحفظون الدّين والملك؛ ويعيدون إليها مجدها الزّائل، ويجذبون المعتدين عليها إلى الإسلام ويدخلونهم فيه أفواجاً أفواجاً" (المراغي، ١٩٤٦، ٤/ ٦٣). فقد تحدّث المراغيّ عن بعض أسباب الضّعف الظّاهر في الأمّة وهو بخل الأغنياء، وعدم بذلهم في سبيل إعمار بلادهم من بناء للمدارس والمصانع والمعامل، وغيرها من أسباب نهضة الأمم.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات:

–لم يكن تفسير المراغيّ مجرّد شرح لغويّ للآيات؛ بل كان مشروعاً فكرياً يصوّر تفاعل القرآن مع واقع النّاس والمجتمع، ويبرهن على أنّ للمحدّدات الثّقافية في عصر المفسّر تأثير عليه في أثناء كتابة التفسير واختيار المعاني وصياغة الأفكار، مؤكّداً حقيقة أنّ تفسير القرآن ليس عملاً تراثياً بل رسالة دائمة لتجديد الفهم وفق روح العصر وأحوال المجتمع مع التّأكيد على ثوابت الدين.– تأثر المراغي على صعيد المحدّدات العلمية والعقليّة بالنّهضة العلميّة في عصره رغم نقضه من تأثّر بها، ويعود سبب ذلك إلى سيطرة كلمة العلم في أوساط النّاس المثقّفين في عصره، بعد انبهارهم بالحضارة الغربية، حيث بدأ الحديث يطول بعض القصص غير المعقولة في القرآن، وهذا ما جعل المراغيّ يحاول الدّفاع عن القرآن الكريم وما ورد فيه من قصص، فسبقت قدمه نحو هاوية إنكار بعض القصص، وهذا ما جعله يفسّر كثيراً من الآيات التي يصعب على العقل البشريّ

تصديقها بعيداً عن مفهوم المعجزة.– حاول المراغيّ على الصّعيد الاجتماعيّ معالجة الكثير من أمراض المجتمع التي بدأت تنتشر مثل شرب الخمر والمخدرات وغيرها، واللجوء إلى البدع مثل تقديس أصحاب المقامات والأضرحة، كما نوّه إلى العادات الجديدة التي تمثّلت بمحاولة تقليد المسلمين للغرب.–ولقد اهتمّ المراغيّ على الصّعيد الاجتماعي أيضاً بإصلاح الأسرة التي تشكّل عماد المجتمع، والحفاظ عليها، وتكرّر منه ذكر السّنن الإلهية في حياة المجتمعات وبقائها.– حاول المراغي من النّاحية الاقتصاديّة الدّعوة إلى نظام اقتصادي عادل وفق قواعد الشّريعة ومقاصدها في حفظ المال وتحقيق التكافل، وتحريم كلّ ما قد سبباً في الانهيار الاقتصاديّ للدّولة ممّا حرّمه الإسلام.

التوصيات:

البحث عن المحدّدات الثّقافية وأثرها في التفسير عند مفسرين متقدمين وآخرين متأخرين مع ملاحظة الظروف الفكرية والاقتصادية والاجتماعية التي عاشوا فيها، للخروج بنظرية شبه شاملة عن أثر المحددات الثقافية عند مفسري القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

–البخاري، محمد بن إسماعيل، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م، صحيح البخاري=الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط:١، لبنان، دار طوق النجاة.

–حمداوي، جميل، ٢٠١٦م، الثقافة مفاهيم ومقاربات، ط: ١.

–الرومي، فهد عبد الرحمن، ١٩٨٣م، منهج المدرسة العقلية في التفسير، ط: ٢، مؤسسة الرسالة.

–الزركلي، خير الدين، ٢٠٠٢، الأعلام، ط: ١٥، لبنان، دار العلم للملايين.

–شحروري، أحمد داود محمد داود، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، الشيخ أحمد مصطفى المراغي ومنهجه في التفسير، (رسالة ماجستير) الأردن، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية.

–الطبري، محمد بن جرير، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، جامع البيان في تأويل القرآن، ط: ١، مؤسسة الرسالة.

–عمر، أحمد مختار عبد الحميد، وآخرون، ٢٠٠٨م، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط: ١، مصر، عالم الكتب.

–ابن كثير، إسماعيل بن عمر، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م، تفسير القرآن العظيم، ط: ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع.

–المراغيّ، أحمد مصطفى، ١٣٦٩هـ–١٩٥٠م، تاريخ علوم البلاغة والتعريف برجالها، ط: ١، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

–المراغي، أحمد مصطفى، ١٣٦٥هـ–١٩٤٦م، تفسير المراغيّ، ط: ١، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

–ابن منظور، جمال الدين، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م، لسان العرب، ط: ٣، بيروت، دار صادر.

–نويهض، عادل، ١٩٨٨م، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، ط: ٣، لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر.

–مسلم، مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، ١٣٣٤هـ–١٩١٦م، صحيح مسلم=المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، لبنان، دار إحياء التراث العربي.